مجلة التاريخ المتوسطي. المجلد 08، العدد 02. شهر جوان 2026. ص: 306 - 331
P-ISSN: 2716-764X, E-ISSN: 2716-7747

ت. الارسال:30 - 01 - 2026	ت. القبول: 09 - 03 - 2026	ت. النشر: 30 – 06 - 2026

وضعيات الدفن والطقوس المصاحبة لها في الحضارة القفصية على ضوء الأبحاث الأثرية

Burial positions and associated rituals in the Capsian culture in light of archaeological research

توريرت مصطفى
جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر
mo.taourirt@univ-biskra.dz

الملخص:

يتناول هذا البحث الممارسات والطقوس الجنائزية لدى الإنسان القفصي، باعتبارها أحد أهم المداخل لفهم الحياة الدينية والتصورات الرمزية المرتبطة بالموت والحياة ما بعده، وهذا خلال الباليوليتي المتأخر في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة، عن طريق تسليط الضوء على مختلف وضعيات الدفن التي كشفت عنها الحفريات والأعمال الميدانية المختلفة سواء خلال الفترة الاستعمارية أو بعد الاستقلال، وتنطلق إشكالية البحث من محدودية المعطيات التفسيرية المتوفرة حول البعد الديني للإنسان القفصي، نتيجة اعتماد الدراسات السابقة على المقاربة الوصفية والأنثروبولوجية التقليدية، مع إغفال السياق الجنائزي والتحليل التافونومي للجثث، مما حال دون إعادة بناء دقيقة للأنساق الجنائزية ومضامينها الرمزية.

تهدف هذه الدراسة إلى إعادة قراءة وضعيات الدفن وطرقه والطقوس المصاحبة لها في الحضارة القفصية، والكشف عن دلالاتها الدينية، مع إبراز مدى تطور الفكر الرمزي لدى الإنسان القفصي، وموقعه ضمن المسار العام لتشكل الممارسات الدينية في عصور ما قبل التاريخ، وذلك من خلال تحليل وضعيات الدفن، والمرفقات الجنائزية، كما تسعى إلى تمييز ما هو ناتج عن الفعل الجنائزي المقصود عما هو نتيجة للتحولات التافونومية اللاحقة، وإلى إبراز درجة التعقيد والتنظيم التي بلغتها هذه الطقوس.

اعتمد البحث منهجية متعددة التخصصات، جمعت بين التحليل الأثري والأنثروبولوجي، مع توظيف مقاربات علم الآثار الجنائزية، وذلك من خلال دراسة وضعيات الهياكل العظمية، وأنماط الإيداع الجنائزي، وبنية القبور، إضافة إلى تحليل استعمال المغرة الحمراء، والحلي، واللواحق الجنائزية. كما تم الاعتماد على المقارنة بين عدد من المواقع القفصية الجزائرية والتونسية، وربط المعطيات الميدانية بالسياق البيئي والثقافي العام.

وتتضمن هذه الورقة البحثية عدة نقاط، بحيث تناولنا في البداية نظرة موجزة عن الحضارة القفصية من حيث الاكتشاف والتسمية، ثم تطرقنا إلى أهم وضعيات وأنماط الدفن لدى الإنسان القفصي استنادا إلى مجموعة من المواقع النموذجية، ثم حللنا مختلف الطقوس المصاحبة لعملية الدفن والمرفقات الجنائزية التي تم الكشف عنها في مختلف المدافن.

وقد أظهرت نتائج البحث أن الممارسات الجنائزية القفصية لم تكن عشوائية، بل اتسمت بدرجة عالية من التنظيم، مما يدل على وجود ممارسات رمزية ودينية واضحة المعالم، كما كشفت عن تنوع وضعيات الدفن وطرق الإيداع، بما في ذلك الدفن الفردي الأولي والثانوي، وظهور أنماط دفن خاصة تعكس طقوسًا طويلة ومعقدة، مثلها عملية تجزئة الجثة وفصل الأعضاء، مع الاحتفاظ بأخرى لدفنها مرة أخرى عبر مجموعة من الطقوس، فضلا عن استعمال الصباغة الحمراء التي لها دلالات دينية مهمة. وتؤكد هذه النتائج أن الإنسان القفصي امتلك تصورا متقدما للموت، من خلال الكشف عن مجموعة من القرابين التي كانت ترافق الجثة في رحلتها نحو العالم الآخر، وأن الطقوس الجنائزية شكلت وسيلة أساسية للتعبير عن معتقداته الدينية وهويته الثقافية، وأسهمت في ترسيخ التماسك الاجتماعي داخل الجماعة القفصية.

الكلمات المفتاحية: وضعيات الدفن؛ الحضارة القفصية؛ الطقوس؛ الأبحاث الميدانية.

Abstract:

This study examines the funerary practices and rituals of the Capsian as one of the most significant approaches to understanding religious life and the symbolic perceptions associated with death and the afterlife during the Late Paleolithic period in North Africa in general, and in Algeria in particular. This is achieved by shedding light on the various burial positions revealed through excavations and diverse fieldwork conducted both during the colonial period and after the independence.

The research problem stems from the limited interpretive data available concerning the religious dimension of the Capsian, as a result of the reliance of previous studies on descriptive and traditional anthropological approaches, while neglecting the funerary context and the taphonomic analysis of human remains. This has hindered an accurate reconstruction of funerary systems and their symbolic meanings

This study aims to re-examine the burial positions, methods, and associated rituals of the Capsian culture, and to uncover their religious significance, highlighting the development of symbolic thought among the Capsians and its place within the broader trajectory of the formation of religious practices in prehistoric times. This is achieved through the analysis of burial arrangements, bodily treatments, and funerary accompaniments. The study also seeks to distinguish what results from intentional funerary actions from what stems from subsequent taphonomic transformations, and to highlight the degree of complexity and organization reached by these rituals

The study adopted a multidisciplinary methodology, combining archaeological and anthropological analyses, by employing approaches from funerary archaeology and taphonomy. This was achieved through the examination of skeletal positions, burial patterns, grave structures, as well as the analysis of the use of red ochre, ornaments, and funerary accompaniments. The research also relied on comparisons between several Capsian sites in Algeria and Tunisia, linking field data to the broader environmental and cultural context.

This paper addresses several key points, it begins with a brief overview of the Capsian culture, including its discovery and nomenclature. Then it discusses the main burial positions and types among the Capsians, based on a set of representative sites. Next, it analyzes the various rituals associated with the burial process and the funerary accompaniments uncovered across different graves.

The results of the study indicate that Capsian funerary practices were not random but exhibited a high degree of organization, reflecting a clear symbolic and religious system. The findings also reveal the diversity of burial positions and deposition methods, including primary and secondary individual burials, as well as specific burial patterns that reflect long and complex rituals, such as the dismemberment of the body and the separation of certain organs, while retaining others for reburial through a series of ceremonial acts. The use of red ochre, which carries significant religious meaning, was also documented. These results confirm that the Capsians possessed an advanced conception of death, as evidenced by the presence of offerings accompanying the body on its journey to the afterlife. Funerary rituals served as a central means of expressing religious beliefs and cultural identity and contributed to reinforcing social cohesion within the Capsian community.

Key words: Burial positions; Capsian culture; funerary rituals; archaeological field research.

المؤلف المرسل: توريرت مصطفى، **الإيميل:** mo.taourirt@univ-biskra.dz

مقدمة

شهدت شمال إفريقيا خلال العصر الحجري القديم الأعلى ظهور الحضارتين الايبيرومغربية والقفصية، وقد شملت هذه الأخيرة حيزا جغرافيا يمتد من وسط وغرب تونس إلى شرق ووسط الجزائر بشكل خاص، بحيث شكلت حلقة بارزة في فهم التحولات الثقافية والاجتماعية التي عرفتها مجتمعات شمال إفريقيا في مرحلة الانتقال من نمط العيش على الصيد والجمع إلى بداية الاستقرار والتعقيد الاجتماعي، وتحتل الممارسات الجنائزية مكانة مهمة في فهم المجتمعات ما قبل التاريخية عامة، و القفصية

خاصة، باعتبارها من أكثر الشواهد الأثرية تعبيرا عن البني الفكرية والرمزية لهذه الجماعات، فطرق الدفن، ووضعيات الجثامين، والأدوات التي ترافق المتوفي، مؤشرات مباشرة على تصورات الإنسان القفصي للموت، وللعلاقة بين الأحياء والأموات، وللاعتقادات المرتبطة بالحياة ما بعد الموت.

يشكّل تحليل السياقات الجنائزية إطارا منهجيا قائما على توظيف مجموعة من المؤشرات المستمدة من دراسة البقايا العظمية والمعطيات الأثرية، بهدف إعادة تركيب السلوكيات والطقوس التي رافقت عملية دفن الموتى، وقد اكتسبت هذه المقاربة طابعا علميا، لما تتيحه من إمكانية التمييز بين المظاهر الناتجة عن الممارسات الجنائزية المقصودة من جهة، والتغيرات اللاحقة التي حدثت للجثة بفعل العمليات التافونومية الطبيعية من جهة أخرى، ولا يقتصر دور هذه المقاربات التحليلية على تحديد وضعية الهيكل العظمي فقط، بل تتجاوز ذلك إلى التعرف على أنماط الممارسات الجنائزية وخصائص البنية القبرية، فضلًا عن استنتاج شكل حفرة الدفن وحدود الحيز الجنائزي، حتى عندما تكون هذه المعالم قد اختفت نتيجة عوامل التحلل والزمن.

غير أنّ فهم السلوكيات الجنائزية للمجتمع القفصي فيما قبل التاريخ -الذي لا شك أنهم أولوا اهتماما كبيرًا بالموتى- ظلّ محدودًا في الدراسات القديمة، خاصة فيما يتعلق بالمدافن التي لم تستفد إلى وقت قريب من هذا النوع من المقاربات المنهجية، فقد انصبّ اهتمام الباحثين أساسًا على دراسة البقايا البشرية المنسوبة إلى هذه الثقافة، وتحديد أنماط الهياكل العظمية المستخرجة من سياقات ثقافية معيّنة، مع تحليل خصائصها المورفولوجية، في حين بقي توصيف الطقوس الجنائزية عامًا ومختصرًا، إلا أنّ السنوات الأخيرة شهدت تحوّلًا ملحوظا نحو الاهتمام بمختلف العمليات الجنائزية التي تُمارَس على الجثة قبل الدفن وبعده، وكذلك بالطقوس المرتبطة بها، مما أسهم في تعميق فهم الممارسات الجنائزية القديمة وإعادة تفسيرها في ضوء مناهج علمية حديثة.

ورغم الصعوبات المنهجية التي تعترض دراسة هذه المظاهر، نتيجة قِدم معظم التنقيبات وغياب التوثيق التفصيلي للسياقات الجنائزية، فإن تحليل وضعيات الدفن في إطارها الأثري والأنثروبولوجي يسمح بفهم أعمق للممارسات الدينية لدى الإنسان القفصي، ويؤكّد أن الموت لم يكن حدثًا بيولوجيا عابرا، بل لحظة مشحونة بالمعاني، استدعت طقوسا وسلوكيات تعبّر عن رؤية شبه متكاملة للوجود، ومن هذا المنطلق تثير المعطيات الأثرية المرتبطة بالمدافن القفصية، من حيث تنوّع وضعيات الجثامين ووجود ممارسات ولقى جنائزية مرافقة، تساؤلات جوهرية حول طبيعة الدلالات التي تحملها هذه المظاهر، ومنه تتبادر مجموعة من التساؤلات الفرعية منها؛ هل تعبّر الوضعيات المختلفة للدفن عن تنوع في المعتقدات الجنائزية داخل الحضارة القفصية، أم عن تطور زمني في الممارسات الطقوسية؟ ما الدلالات الرمزية لاستخدام المغرة الحمراء والعناصر المرافقة للدفن؟ وهل يمكن اعتبارها مؤشرات على تصور للحياة ما بعد الموت؟ وفي الأخير نحاول أن نجيب على سؤال مهم لفهم السلوكيات الدينية للمجتمع القفصي وهو هل يمكن اعتبار الطقوس الجنائزية القفصية تعبيرا عن نسق ديني ناشئ أم مجرد سلوك رمزي غير مؤسس؟

لمعالجة موضوع طرق ووضعيات الدفن لدى المجتمع القفصي سأعتمد على عدة مناهج؛ بداية بالوصفي-التحليلي بغية الوقوف على أهم المواقع القفصية التي كشفت لنا عن مدافن بشرية، وذلك بوصف دقيق لوضعيات الدفن وتحديد طبيعتها، مع تصنيف الطقوس المصاحبة له، ثم تحليل المعطيات التي تحصلنا عليها اعتمادا على الدراسات الميدانية التي أجريت على مواقع مختلفة وذلك لاستخلاص الأنماط المتكررة والاختلافات ذات الدلالة، وباعتبار أن الدراسة ستعتمد أربعة مواقع نموذجية وهي؛ موقع عيون بريش، فايد الصيوارII، مجازII بالجزائر، وموقع سبخة حرق المنزل بتونس، بإجمالي 57 هيكلا عظميا، سأوظف المنهج المقارن بين مدافن الموقع الواحد، وبين المواقع القفصية المختلفة، وكان اختيارنا لهذه المواقع نتيجة لوجود تقارير بحثية عليها أنجزت خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، وتم تأكيدها في السنوات الأخيرة من قبل باحثين أجانب ومحليين مستخدمين طرق ووسائل علمية حديثة.

ومن حيث الدراسات المرجعية في هذه الورقة البحثية، فقد اعتمدت على جملة من الأبحاث الميدانية والتقارير البحثية وبعض الدراسات الأكاديمية المتخصصة، تأتي على رأسها أطروحة دكتوراه للباحثة عاودية لويزة حول الممارسات الجنائزية المعقّدة: إعادة تقييم أثري-أنثروبولوجي للسياقات الإيبيرومغربية والقفصية، وهي دراسة مهمة جمعت بين الدراسات الأثرية القديمة والأعمال الميدانية الحديثة حول الظاهرة الدينية في المجتمع القفصي، واستعنت بكثير من التقارير والأعمال التي اهتمت بوصف الهياكل العظمية المحصل عليها من المواقع القفصية، لاعتمادها في استخراج بعض المعلومات حول سياق الدفن والمرفقات الجنائزية لهذه الهياكل العظمية، من أبرزها نذكر أعمال كل من كامبس غبريال Camps، وزوجته هنريات فابرر Camps-Fabrer H، دوبريج Debruge، فالوا Vallois، لابلاس Laplace، كما اعتمدنا على تقارير عمليات التنقيب التي قام الإيطالي ميلازاني بالاشتراك مع باحثين أجانب ومغاربة.

1.اكتشاف الحضارة القفصية وأصل التسمية

تنتمي الحضارة القفصية إلى حضارات العصر الحجري القديم المتأخر(Épipaléolithique) في شمال إفريقيا، وتُعد مثالًا مميزًا على تنوّع النماذج الثقافية في تلك الحقبة، سُمّيت نسبةً إلى المدينة القديمة قفصة (Capsa) في تونس(Naanaa, 2012: 10)، وتتخذ المواقع القفصية شكل تلال من الرماد المختلطة بالحجارة المحروقة، وبأدوات صوانية وأصداف قواقع أرضية، ومن هنا جاءت تسميتها الشائعة بـ "الحلزونيات (Escargotières)"، وأصل هذه التسمية يعود إلى الباحث لاتابي(Latapie) الذي استخدمها سنة 1909 عند دراسته لمواقع قفصية تحتوي على أكوام من القواقع، وما يلفت الانتباه أولًا عند زيارة هذه المواقع هو وفرة الرماد المختلط بالحجارة (Hadjouis, 2003: 44)، والتي كانت تستخدم لغلي السوائل عليها من أجل طهي هذه الحلزونيات.

يرجع الفضل للباحث ديمورقانDe Morgan في اكتشاف الموقع الأثري النموذجي بقفصة ودراسته سنة 1909م، وذلك في مؤلفه الشهير "الحضارات الأولى" (Morgan, 1909)، حيث قام هو والدكتور كابيتان Capitanبتسمية الرماديات التي احتوت على البقايا الأثرية بالحضارة القفصية، حيث اعتقد ديمورقان أنها تنتمي إلى حضارات الباليوليتي الأعلى وبالتحديد إلى الحضارة الأريغناسية أو إلى الحضارة

البيرغوردية في أوربا(Rahmani, 2004: 348)، وشاطر الباحث ريقاس Reygasseهذا الرأي مشيدا بالتشابه الكبير في المحتوى الأثري للحضارة القفصية مع هاتين الحضارتين وانتسابها إلى حضارات الباليوليتي الأعلى، حيث طلب بحذف تسمية القفصة(Reygasse, 1917-1918).

وفي سنة 1910، بدأت أولى منشورات الطبيب جوبير E. G. Gobert حول الحضارة القفصية بالظهور، كان جوبير طبيبًا وباحثًا في عصور ما قبل التاريخ و الإثنوغرافيًا، وواصل عمله حتى ستينيات القرن الماضي، مركزًا أبحاثه على المراحل الأخيرة من عصور ما قبل التاريخ في بلاد المغرب، انطلاقًا من أعمال ميدانية أجراها بنفسه في تونس (Gobert, 1910; Gobert, 1914; Belhouchet, 2021: VII).

وبعد القيام بأبحاث وتنقيبات جديدة عُثرمن خلالها على أدوات قزمية، فرأى كل من الباحثينِ فوفريR. Vaufrey وجوبير G. Gobertتأكيد التسمية ونشرها في الأوساط العلمية كحضارة تتميز بها الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري(Gobert & Vaufrey, 1950) .

2.أنماط الدفن لدي الانسان القفصي

تُظهر الهياكل العظمية التي عُثر عليها في المواقع القفصية تنوعا في وضعيات الدفن، فنجد وضعية القرفصاء والممدودة على الظهر، وكثيرا ما يكون الجسد مثنيًا على أحد الجانبين، كما كشفت الأبحاث عن عظام بشرية متفرقة وغير مرتبة، أو في شكل حزم من العظام، ممّا يدل على أن عملية الدفن كانت ثانوية، ومن خلال الأعمال الميدانية والدراسات التي أنجزت خلال الفترة الاستعمارية وبعدها، خاصة الدراسة القيمة التي أجرتها الباحثة عاودية على الطقوس الجنائزية لدى الشعوب القفصية بعد سلسلة من الأعمال الميدانية التي نفذتها على عدة مواقع جزائرية، سنركز على ثلاثة مواقع رئيسية في شمال شرق الجزائر، وموقع في غرب تونس، وهي على التوالي:

1.2.موقع عيون بريش

يوجد هذا الموقع في شمال شرق الجزائر، على بعد 15 كلم شمال غرب عين البيضاء على الطريق باتجاه سوق أهراس، تم التنقيب فيه ما بين سنتي 1925-م1930، من قبل الأنثروبولوجي جينكس (A.E Jenks) بتوجيه من بوند (A. Pond) ، ينتمي هذا الموقع إلى المرحلة القفصية النموذجية والعليا، ويؤرخ بما بين 7030 ق.م و5804 ق.م، إذ أسفرت حفريات بوند عن اكتشاف نحو عشرين هيكلًا عظميًا محفوظة حاليا في المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ بالجزائر العاصمة، كما أسفرت حفريات جينكس عن اكتشاف ثمانية هياكل عظمية أُودِعت في متحف جامعة مينيسوتا (Aoudia, 2013:213) .

وخلال تنقيبات عام 1930 عُثر على بقايا هياكل عظمية لخمسة بالغين، وفرد واحد دون سن البلوغ، ورضيع واحد(Pond, et al., 1938)، وفي عام 1994، أُطلقت دراسة تفصيلية لهذه البقايا في جامعة ألبرتا بكندا، حيث ستقتصر دراستنا على ثلاث هياكل فقط، لأنها بقيت في وضع تشريحي سليم أو لأنها احتفظت بمعظم أعضاء الهيكل ولو في شكل مبعثر، وسنستثني بذكر الهياكل التي تحمل الرمز: 3A-5، 3A-6، 3A-7، وذلك لأن حالتها لحظة الاكتشاف لا تسمح بتحديد وضعيتها أثناء الدفن.

تُظهر احدى الهياكل العظمية، ويرمز لها بـ 1-3A الملامح العامة لوضعية الدفن في موقع عيون بريش، إذ نلاحظ من خلال الصورة التي عرضتها عاودية أن الهيكل بقي في حالة شبه سليمة بالكامل رغم تفكك العظام عن بعضها البعض، بحيث حافظت العظام المكونة للقفص الصدري على تماسكها بشكل جيد، إلى جانب عظام الحوض الثلاثة التي وجدت في اتصال تشريحي متماسك، في حين وجدت معظم أجزاء الجسم إلى يمين الحوض، على هيئة كتل تشريحية مفككة ومتراكبة فوق بعضها مشكلة ما يشبه حزمة، وتبين هذه الوضعية أن الجثة قد دفنت تدريجيا بعد عملية تجزئة، نظرا إلى أن أجزاءها المختلفة وجدت في وضعيات غير متناسقة وبعضها مقلوب.

كما تظهر آثار قَطْع على بعض العظام، ولا سيما الفقرات العنقية العلوية، والفك السفلي وعظم العضد الأيمن، فضلا عن آثار أخرى قرب المناطق المفصلية للعظام الطويلة، وهو ما يدل على فعل تفكيك مفصلي، وقد لوحظت مثل هذه الآثار على مستوى المرفق الأيمن والركبة اليسرى، وهي تؤكد أنهما فُكِّكا عمدًا(Haverkort; Lubell, 1999: 152-153)، وتقدم عاودية فرضيتين لتفسير هذه المعطيات، خاصة ما تعلق بسلامة القفص الصدري والحوض؛ تتمثل الفرضية الأولى في أن الجذع قد تم تجويفه قبل الدفن، مما سمح للرواسب المحيطة بالدخول مباشرةً إلى داخل الجذع بعد الدفن، وبالتالي حال دون تكوّن فراغ ثانوي، وبدلا من ذلك، قد يكون الحشو المتعمد قد تم من قبل السكان القفصيين، باستخدام مادة قابلة للتحلل. أما الفرضية الثانية، فيحتمل أن تكون الجثة قد خضعت لعملية التحنيط، وهذه الفرضية تتقاطع مع الأولى في اعتبار تجويف الجذع المسبق ضروري قبل عملية التحنيط، إذ يُسهم ذلك في الحفاظ على الهيكل العظمي(Aoudia, 2013: 215).

الصوررقم 1:

وضعية دفن الهيكل 3A-1



المرجع: Aoudia, 2013: 214

أما الهيكل العظمي الثاني فيرمز له بـ3A-2، فيعود بدوره لفرد بالغ يُرجَّح أنه أنثى، دُفن على جانبه الأيمن، واحتوت المواد المحيطة بالهيكل على كمية كبيرة من الرماد والمغرة الحمراء، خاصة خلف الجمجمة، وُصفت الوضعية العامة للبقايا العظمية بأنها تشكل هيئة دائرية، مع انحناء العمود الفقري حولها، وكانت حالة الحفظ سيئة جدًا؛ إذ وُصفت عظام الحوض والأضلاع والفقرات بأنها مفتّتة ومكسورة، كما كانت الجمجمة محطّمة،وموضوعة على الجانب الأيمن بين لوح الكتف والحوض، ومن بين العظام الطويلة، تم استرجاع الجزء السفلي من الذراع اليمنى فقط، كما لوحظت آثار قطع على بقايا هذا الفرد أيضا، شملت منطقة الرقبة، وتحديدًا الفقرتين الأولى والثانية، ويشير وجود هذه الشقوق على هاتين الفقرتين إلى أن الهدف من هذه العملية كان فصل الرأس(Haverkort; Lubell, 1999: 153, 157).

استنادًا إلى الملاحظات التي قدّمها الباحثون، تشير المعطيات الموثوقة المستخلصة بوضوح إلى أن الجثة قد خضعت لعملية تجزئة قبل الدفن، وخلال هذه المعالجة تم فصل الرأس، و هو ما تؤكده آثار القطع المسجلة على الفقرتين الأولى والثانيةمن الرقبة،كما يدعمه وضع الرأس في القبر بعيدًا عن موضعه التشريحي الطبيعي، ويشير غياب بعض الأطراف مع عدم العثور على نهاياتها المقابلة، فضلا عن ترتيب العظام في شكل كتل تشريحية مفككة، وما يصاحب ذلك من تشوهات غير طبيعية في وضعية الدفن، إلى أن الرأس لم يكن العضو الوحيد الذي فُكّت مفاصله عمدًا، بل من المرجح أن مفاصل كبيرة أخرى قد فُكّت هي الأخرى دون أن تصل إلينا آثارها، وبعد تقسيم الجثة إلى كتل تشريحية، وضعت هذه العناصر داخل حفرة تم ردمها،أما الرأس فقد وُضعت في مرحلة لاحقة فوق كومة العظام(Aoudia, 2013: 222)، وفي حالات أخرى يتم تحويل بعض العظام إلى أدوات مثل المخارز، الإبر، سكاكين وخناجر وكاشطات، وقد ثبت ذلك في حالات اكتشف في مواقع قفصية، سواء المدروسة أو في غيرها.

الصوررقم 2:

وضعية دفن الهيكل 3A-2



المرجع: Aoudia, 2013: 221

2.2. موقع فايد السيوارII

يقع جنوب ولاية أم البواقي، بالقرب من وادي فايد اسوار، يبلغ طول الموقع نحو 30م وعرضه حوالي 50م، وينتمي إلى المرحلة القفصية العليا، وأرخ بما بين 7800-5500 ق.م

(Aoudia; Bocquentin, 2009: 171-178)، اكتشف الموقع سنة 1954 من قبل لابلاس(Laplace, 2004)، إذ أسفرت الحفريات عن استخراج بقايا بشرية لـ 5 أفراد، وهي محفوظة في معهد علم الحفريات البشرية بفرنسا،أما الكتلة القحفية-الوجهية المعدّلة فهي موجودة في متحف ما قبل التاريخ بإيزي دي تاياك (Vallois, 1971: 397-414).

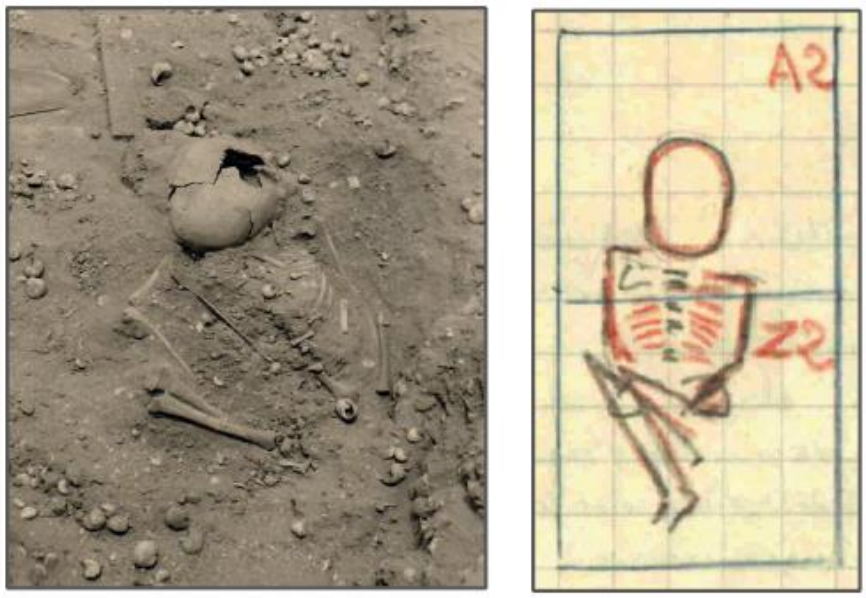
قدم موقع فايد سوار II أربع دفنات لهياكل بشرية شبه كاملة؛ الأول لفرد غير بالغيرمز له بـ S2، والثاني لفرد بالغ يرمز له بـ S3، إضافةً إلى عظمتين معزولتين، الأولى عبارة عن قِطعة من قبة جمجمة يرمز لها بـ

S4وجزء من الفك العلوي يرمز له بـ S5. فيما يخص الهيكل S3فهو يعود لفرد بالغ، وصف لابلاس هذا الهيكل بأنه كان في حالة حفظ سيئة عند اكتشافه، ولم يجر له تصويرا فوتوغرافيا، غير أنه أعد له رسمًا توضيحيًا، وقد وُجد الهيكل العظمي مستندا إلى جانبه الأيسر، مع توجيه الرأس نحو الشمال، أما الأطراف السفلية فكانت مثنية، بحيث تلامس الركبتان الصدر، في حين كانت الأطراف العلوية ممدودة واليدان مسترخيتين بمحاذاة الركبتين، وهذا الدفن أولي ووضع داخل حفرة بسيطة (Aoudia, 2013: 266; Laplace, 2004).

أماالهيكل الثاني، الذي يحمل رمز S2، فقد عثر عليه لابلاس في وضعية استلقاء على الجانب الأيمن، مع ثني الذراع الأيمن ورفع الكتف، بحيث شكل المرفق زاوية قائمة، في حين بدا الذراع الأيسر ممدودًا، واليد مسترخية فوق الحوض، أما الأطراف السفلية، فقد كانت مثنية بحيث تلامس الركبتان الصدر، وقد وجد هيكل هذا الفرد في وضعية الدفن الأصلية، والشكل الموالي يوضح هذه الوضعية (Aoudia, 2013 :266; Laplace, 2004).

الصوررقم 3:

وضعية دفن الهيكل S2 بموقع فايد السيوارII



المرجع: Aoudia, 2013: 266 ; Laplace, 2004

3.2. موقع مجازII

يقع هذا الموقع في ولاية سطيف، وبالضبط على بعد 4 كلم شمال مدينة العلمة، مساحته 100م طولا على 40م عرضا، كان الموقع محل تنقيب من قبل "Verguet" ما بين سنتي 1963-1965 و1966-1967،(Verguet, 1955) ثم قامت "فابرر-كامبس" بأعمال ميدانية في الموقع ما بين سنتي 1967 و1968(Camps-Fabrer, 1975)، ينتمي هذا الموقع إلى المرحلة القفصية النموذجية والعليا، وهو مؤرخ بما بين 5200 ق.م و8000 ق.م، أسفرت العملية عن اكتشاف بقايا حجرية قفصية وحلزونيات، وأربع هياكل تعود لأفراد بالغين، رُمزت بـ H1 حتى H4، إضافة إلى سبع هياكل أفراد غير بالغين رمز لهم من E1 إلى E7، كما أضيف إلى هذه الهياكل عدد من العظام المكررة التي عثر عليها مع الأفراد غير البالغين، بإضافة

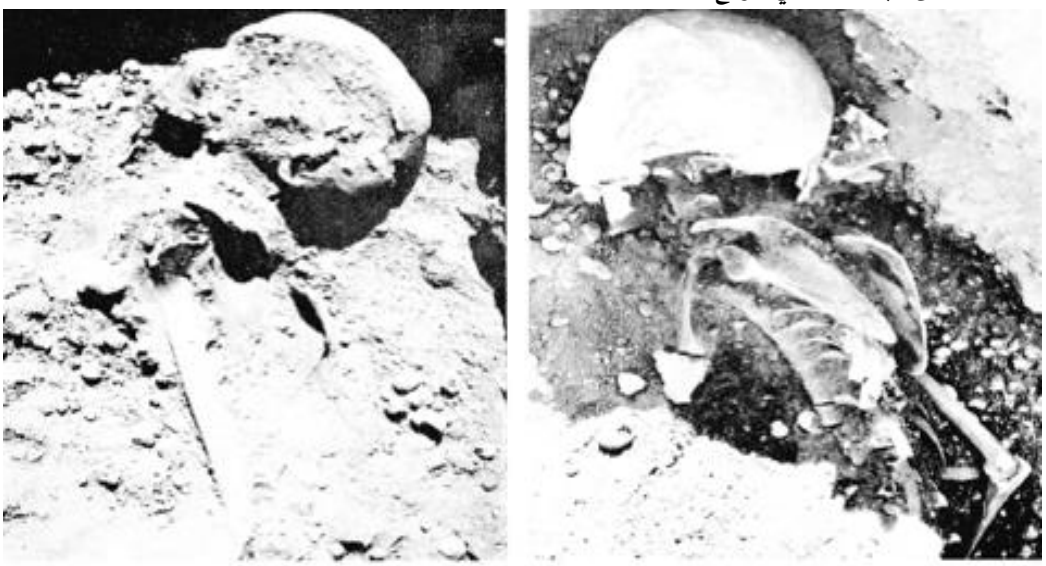
اللاحقة التعريفية "bis"(Camps-Fabrer, 1975: 302)، وهذه البقايا العظمية محفوظة الآن في متحف الباردو بالجزائر العاصمة، بحيث وجدت هذه الهياكل العظمية في حالة حفظ جيدة، باستثناء الهيكل "H1"، كما وجدت بعض العظام المتفرقة والتي استخرجت نتيجة الأنشطة الزراعية الحديثة بالموقع (Aoudia, 2013: 289).

بالنسبة للهيكل العظمي الأول، الذي يحمل الرمز "H3" فقد عُثر عليه في المستوى العلوي الذي يوافق المرحلة الرابعة، وهي الأحدث في تسلسل الموقع، ويَظهر الهيكل حسب الصور الفوتوغرافية التي نقلتها لنا فابرر-كامبس على أنه الجثة دفنت في وضعية ممددة على جانبها الأيمن، مع توجيه الرأس نحو الجنوب والوجه إلى الشرق، ويقع الطرف العلوي الأيمن أسفل الجذع، مع انثناء خفيف في المرفق، أما الطرف العلوي الأيسر فغير ظاهر بالكامل، غير أن الصورة تبين أن الذراع اليسرى كانت موضوعة إلى الأمام بمحاذاة الصدر، وفيما يخص الأطراف السفلية فقد كان متراكبة بعضها فوق بعض، بحيث وُجدت الركبتان في حالة انثناء خفيف، مع ملاحظة تسع فقرات صدرية واضحة المعالم، وهي في اتصال تشريحي جيد فيما بينها(Camps-Fabrer, 1975: 304).

يشير ثبات وضعية الأضلاع ولوحي الكتف إلى الطابع الأوّلي للدفن، إضافة إل ذلك، لوحظ وجود جدار ممتد من الجهة الخلفية للكتلة القحفية-الوجهية وصولا إلى مستوى المرفقين وهو ما ساعد على الحافظ على توازن الجسم أثناء الدفن، وعليه، يبدو واضحا أن هذا الفرد قد دُفن ملاصقًا لجدار حفرة دُفن، وأن العملية أنجزت بسرعة، وأُغلقت في وقت وجيز(Aoudia, 2013: 292)

الصوررقم 4:

وضعية دفن الهيكل H3 في موقع مجاز II





المرجع:Camps-Fabrer, 1975: 303

أما الهيكل العظمي الذي يحمل رمز H1 فقد وُجد في وضعية استلقاء على الظهر، ويتخذ اتجاه جنوب شرق/ شمال غرب، حيث وضع الرأس على جانبه الأيمن والوجه متجها نحو الجنوب، يمتد الطرف العلوي الأيمن بمحاذاة الجسم، في حين يكون الطرف العلوي الأيسر مثنيا عند المرفق، مع وضع الساعد على البطن، أما الطرفان السفليان فممدودان ومتقاربان أحدهما من الآخر ابتداءً من مستوى الركبتين، مع وقوع القدم اليسرى فوق اليمنى.

الصوررقم 5:

وضعية دفن الهيكل H1 في موقع مجاز II





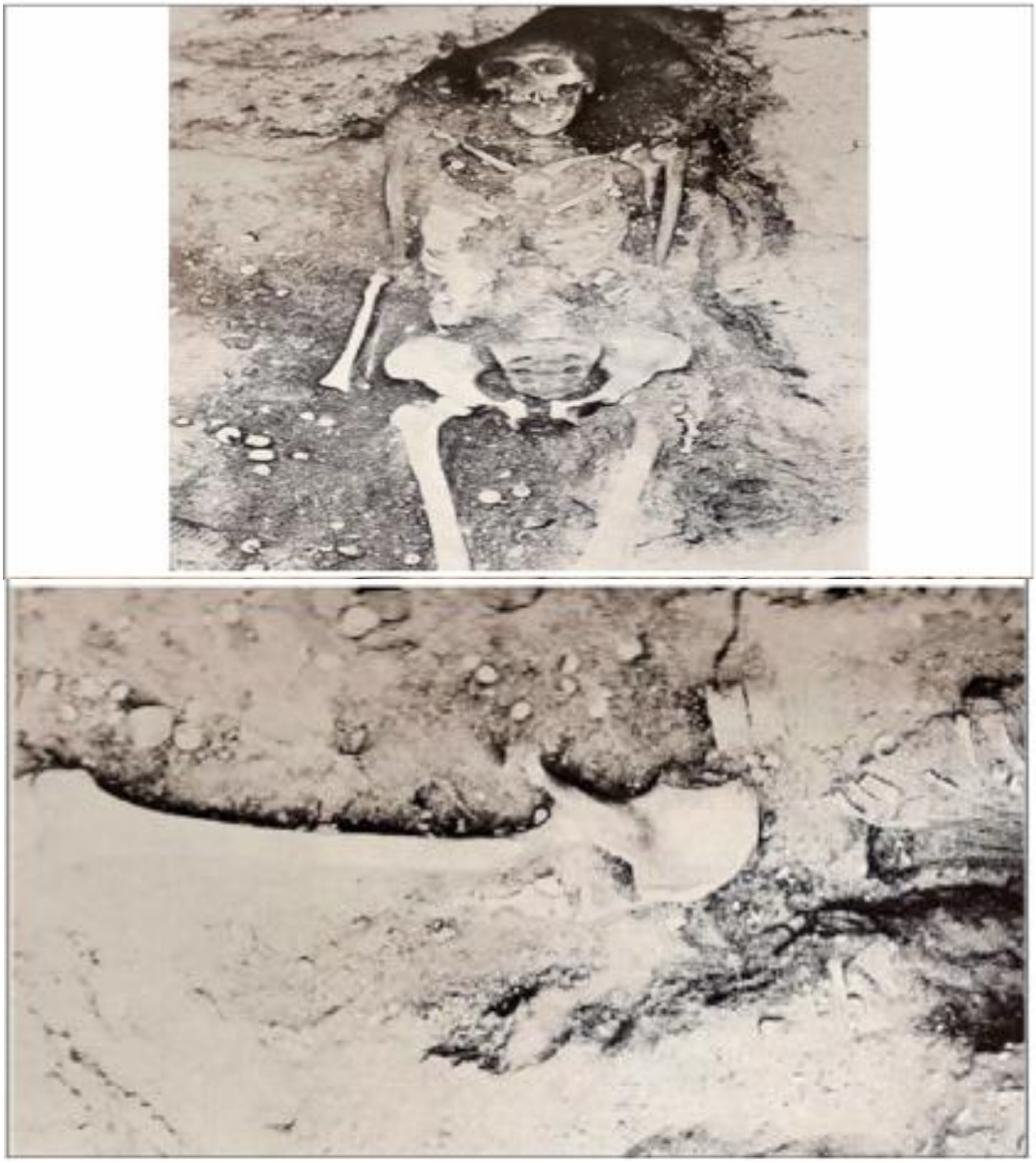


المرجع:Camps-Fabrer, 1975: 305

أما الهيكلH2، فقد وجد في وضعية ممددة على الظهر، رأسه متجها نحو الجنوب ووجه الجمجمة إلى الأعلى، وكانت الأطراف الأربعة ممددة بالكامل، حيث يستقر الفك السفلي على قاعدته، ويظهر المفصل الأيسر منه مرتخيًا، أما العمود الفقري فلا يبدو واضحًا بالكامل، غير أن الأضلاع حافظت على حجمها النسبيوفيما يخص المفاصل الحوضية والعجزية فتبدو مرتخية(Camps-Fabrer, 1975: 307).

الصوررقم 6:

وضعية دفن الهيكل H2 في موقع مجاز II



المرجع: Camps-Fabrer, 1975: 307

بما أن جميع العظام كانت في مواضعها التشريحية، فلا شكّ أن هذا الدفن أولي،علاوة على ذلك، يُظهر الجرد العظمي وجود عظام الأطراف شبه مكتملة، ويُعدّ تضيق الكتفين، والحفاظ على حجم القفص الصدري والحوض، وكذلك إبقاء اليد اليسرى في الوضعية الجانبية بمحاذاة الفخذ الأيسر، مؤشرات تدعم فكرة وجود حفرة ضيقة الجوانب وقاعدتها مقعّرة(Aoudia, 2013: 294)، كما يحتمل أن الرأس قد رُفعت بواسطة وسادة رأسية مصنوعة من مادة قابلة للتحلل، وقد تم سدّ الحفرة بسرعة بعد الدفن(Camps-Fabrer, 1975: 307).

4.2. موقع سبخة حرق المنزل1-SMH (هرقلة) بتونس

يوجد هذا الموقع بالقرب من سوسة بتونس، ما بين الساحل والبحيرة الخلفية الساحلية لمستنقع حلق المنجل وسبخة القلبية(Munoz, et als, 2014: 315)، أولى الحفريات حول موقع SHM-1 كانت بين سنتي

1971-1969 بقيادة الحربي رياحي و زوغلمي، وقد أشاروا إلى اكتشاف مدفن واحد على حافة السبخة (Harbi et Zoughlami, 1971: 181-184))، وما بين سنتي 2002-2007 كان الموقع محل تنقيب من طرف ميلازاني، حيث اكتشف وحفر مدفنين جديدين، وأسفرت العملية على اكتشاف عدة بقايا عظمية (Mulazzani et Als., 2007: 189-212; Mulazzani et al, 2013: 69-123.).

من خلال البقايا المستخرجة تم تأريخ استخدام الموقع ما بين النصف الثاني من الألفية السابعة والنصف الأول من الألفية السادسة قبل الميلاد، وقد أُجريت عملية تأريخ على محار القلب المتوسطي Cerastodermaglaucum المستخرجة من أقدم مستوى بـ7870±30 سنة قبل الحاضر، ومن أحدث مستوى وهو المستوى 7، أرخت بـ 7175±45 سنة قبل الحاضر، وحسب ميلازاني فتبدو الصناعة الحجرية أقرب إلى النيوليتي ذو التقليدي القفصي، أما المخلفات البشرية المدفونة فقد تم الكشف بين سنتي 2002 و2007، على عدة شظايا بشرية دون وجود سياق مدفني واضح، وقد تم تحديد33 قطعة عظمية تمثل على الأقل أربعة أفراد؛ (A) وهوطفل يبلغ من العمر 4 أو6 سنوات، (B) وهو أيضا طفل يبلغ من العمر حوالي 1–2 سنة، أما الهيكل (C) فهو فردبالغ ذو بنية قوية نسبياً، في حين يمثل (D) فرد بالغ ذو بنية نحيلة نسبياً، بشكل عام، يسمح توزيع العظام المتفرقة والأجزاء التشريحية بالافتراض أن هذه العظام تمثل دفنًا أوليًا تعرضت للاضطراب خلال فترات الاستخدام اللاحقة للموقع (Munoz, et als, 2014: 320).

سنأخذ المدفن الثاني الذي تم حفره في عام 2007 م كنموذج، و قد وجد الهيكل مدفونًا في حفرة دائرية الشكل، واحتوت على ثلاث مخلفات متمايزة تنتمي إلى حدثين مختلفين؛ الأول يحتوي على بقايا فرد بالغ في الوضعية الأولية، وفي حالة حفظ سليمة، أما الثاني فهو لاحق للدفن الأول ويتمثل في بقايا عظام متفرقة للطفلين (B-A)، ونتيجة لضيق الحفرة مقارنةً ببنية الفرد أجبر القائمين على الدفن على دفن الجثة على وضعية مطوية للغاية، وبما أن جدران الحفرة كانت شبه رأسية، فقد كان من الصعب وضع المتوفى فيها، ونتيجة لذلك، تم وضع الفرد مستلقيا على جانبه الأيمن في وضعية جانبية مثنية، وفق محور شمال شرق/ جنوب غرب، بحيث تم تثبيت الرأس مقابل الركبتين، وظهر الجزء العلوي من الظهر منحنيًا بشدة، وكانت الذراع اليمنى مثنية بشكل مفرط أسفل الوجه ومستندة إلى الكتف الأيسر، والذراع اليسرى مثنية ومتقاطعة مع اليمنى، مع وضع القبضة مقابل الوجه، أما القدمان فشبه عموديتين ومستندتين إلى الجدار(Munoz, et als, 2014: 326).

الصوررقم 7:

وضعية دفن الهيكل 2 من موقع سبخة حرق المنزل



المرجع: Munoz, et als, 2014: 324-325

تعدمعظم الهياكل العظمية المكتشفة، والمدفونة في وضعية ممدودة أو مدفونة على عمق ضحل، لاحقة لفترة الحضارة القفصية، أي أنها لا تنتمي إلى العصر الحجري القديم المتأخر (Debruge, A, Mercier, G., 1912; Balout, 1955)، بينما بعضالهياكل الأخرى، فرغم وجودها في وضعية الثني أو الطي، فقد تم تصنيفها ضمن العصر النيوليتي بسبب الحلي المصاحب لها(Aoudia, 2013: 209) ، غير أن فابرر- كامبس عارضت هذا الرأي، واعتبرته في مجمله تعسفيا، مستندة إلى تحليلها لقبو موقع مجاز II،حيث أجرت تأريخا باستخدام الفحم وأقامت علاقة بين وضعيات الجثث والمستويات المؤرخة، لتخلص إلى أن مواقع الدفن في الثقافة القفصية قد شهدت طورا من الوضعية المنثنية إلى الوضعية الممدودة، وأضافت: «لقد تم استبعاد الهياكل العظمية الموجودة في مواقع الرماديات بشكل منهجي عندما وُجدت في وضعية ممدودة، وعلى عمق ضحل، أو دون خلع الأسنان»، أضافت أن فكرة الهيكل العظمي

الممدود ليس بالضرورة لاحقًا للمرحلة القفصية، وأن الوضعية المنثنية لا تعني بالضرورة أنها تعود إلى فترة أقدم من الحضارة القفصية(Camps-Fabrer, 1975: 319).

3. **طقوس الدفن القفصية:**

من خلال وضعيات الدفن التي تمّ التعرّف عليها في عدد من المواقع القفصية، يمكن استنتاج جملة من الطقوس الجنائزية التي صاحبت عملية الدفن، ومن بين هذه الطقوس نذكر تجريد الجثة من اللحم، وتفكيك العظام، ثم إعادة دفنها، كما ثبتت أيضًا ممارسات الاحتفاظ ببعض الأعضاء لفترة قبل دفنها مرة أخرى.

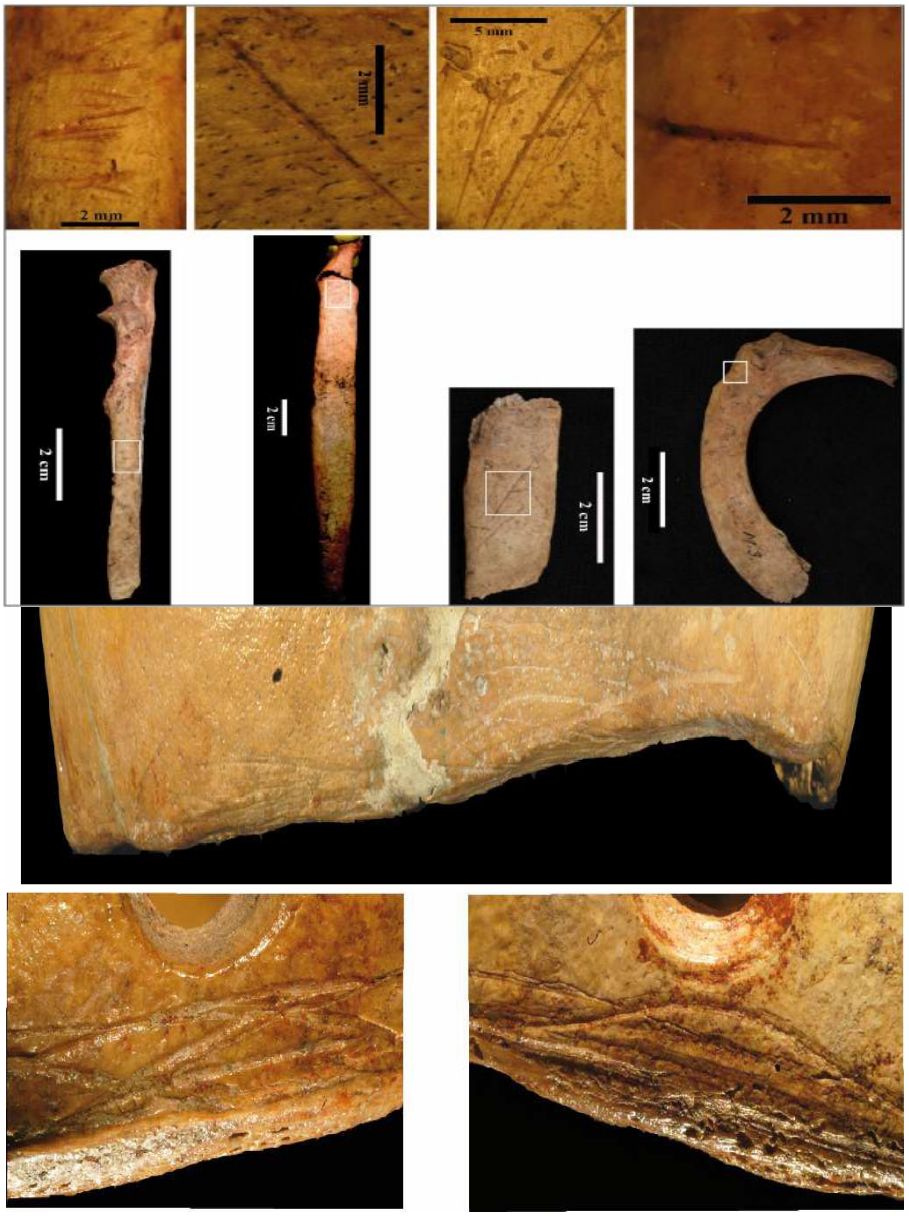
1.3. فصل الأعضاء وتجريدها من اللحم:

في موقع الكيلومتر 3200 بتبسة، كشف دوبريج عن ثلاثة هياكل كانت عظامها غير متصلة تشريحيًا ومكدّسة فوق بعضها البعض(Debruge, 1910: 65-67)، أما في موقع عين بوشريط بسطيف، فقد اكتشف كامبس فكا سفليا جُمِع من سطح كومة من القواقع الحلزونية، ويُظهر هذا الجزء آثار قطع(Camps, 1974: 136)، كما لوحظ أيضا وجود ثلاثة خطوط عند مستوى الزاوية الجانبية للفك، يرجح أن تكون ناتجة عن إجراء فصل الرأس عن الجسد(Aoudia, 2013: 318).

وتُظهر ترقوتان تعودان إلى موقع خنقة الموحاد آثارَ قطعٍ واضحة، إذ تُشير الآثار المُلاحظة على الترقوة اليسرى إلى حركةٍ هدفت إلى فصلها عن عظم القص، في حين تعكس الآثار الموصوفة على الترقوة اليمنى عمليةَ نزع اللحم عن هذا العظم(Camps, 1974: 160)، وترى عاودية أنّه من المرجّح جدًا أن تكون هاتان العمليتان جزءًا من عملية فتح القفص الصدري وتنظيفه(Aoudia, 2013: 319)، كما سبق توثيق هذه الطقوس في المدافن السابقة الذكر، على غرار هيكل فايد السيوار 1، الهياكل العظمية 3A-1، 3A-2، 3A-5، 3A-6، 3A-7 من موقع عين بريش، الهيكل 1923-VI من موقع مشتى العربي، إذ تُثبت هذه المعطيات وجود كتل تشريحية مفككة، إلى جانب غياب بعض الأجزاء العظمية من المدافن، وهو ما يوحي بأن هذه الجثث قد خضعت لمعالجة قبل الدفن، شملت فصل الرأس وبعض الأطراف، وقد لاحظت عاودية هذه الممارسات في مفصل الكتف بالنسبة للهيكلين3A-6، و3A-7، وعلى مستوى مفصل المرفق في الهيكلين3A-1، و3A-5، وفي الهيكل 1927-2 بموقع مشتى العربي. كما ثبت أيضا آثار قطع على عظام الحوض لفك مفصل الورك في الهيكل 1 بموقع فايد السيوارII(Aoudia, 2013).

صورة رقم 8:

آثار قطع العظام البشرية من مختلف المواقع القفصية



المرجع: Aoudia, 2013 : 251, 279

وفي بعض الحالات خضع القفص الصدري أيضا لعملية تنظيف خارجي وفتح داخلي، بهدف تفريغه وإخراج الأحشاء، وقد ترك هذا النوع من الطقوس آثارا على الأضلاع وعظم القص والفقرات الصدرية بالنسبة للهيكل العظمي 6-3A و7-3A بموقع عين بريش، وفي الأضلاع لوحدها بالنسبة للهيكل IV-1927 بموقع مشتى العربي، وكذلك آثار في عظام الترقوة بموقع خنقة الموحاد.

كما ثبت طقس فصل الرأس عن الجسد في الهياكل العظمية التي عثر عليها بموقع عين بريش وهي 1-A3، 2-A3، 5-A3، 6-A3، حيث أكدت الأعمال الميدانية والتشريحية على أن هذه العظام تحمل آثارًا مباشرة لفصل الرأس، كما ثبت أيضا في موقع فايد سوار 1، وعين بوشريط، و قد تركت هذه العملية خطوط قطع على الفك السفلي أو على الفقرتين الأوليين، وجميع هذه الخطوط تقع عند قاعدة الرأس دون أن تصل إلى الرقبة(Aoudia, 2013: 325-328).

2.3.الاحتفاظ ببعض أعضاء الجسم:

إضافة إلى فصل الأعضاء عند القفصيين ثبتت عملية الاحتفاظ ببعضها ودفنها لاحقا، وفي حالات لم تدفن على الإطلاق، ففي موقع عين بريش، يشير الهيكل 3A-6 و3A-7 إلى أن العظام الطويلة للأطراف السفلية قد أُخذت بعد التحلل،كما لوحظ هذا النوع من الممارسة أيضًا على بقايا بشرية لم يُعرف سياق اكتشافها، لكن عظامها تحمل آثار تقطيع مماثلة مثل هيكل عين بوشريط، خنقة الموحد، مجازII ، مشتى العربي 1927 II-وIV، ففي هذا الأخير لم يعثر على العظام الطويلة للأطراف، أما بالنسبة للهيكل 3A-2، و3A-5 بعيون بريش، فيبدو أن الكتلة القحفية الوجنية والفك السفلي قد تم دفنهما لاحقا مع باقي هيكل الجثة، وفي حالات أخرى يتم الاحتفاظ ببعض الأعضاء بين الأحياء مؤقتا ثم يتم دفنها، ففي هيكل فايد السيوارII، خضعت الأطراف لسلسلة من التحضيرات مثل التنظيف والزخرفة، والتي تتطلب النشر، التلميع، الثقب وتلوين العظم، وفي احدى الحالات تم إثبات إعادة تشكيل الجمجمة كما يؤكده هيكل رقم 1 في موقع فايد السيوارII.(Aoudia, 2013: 329)

ومن خلال جملة الأعمال الميدانية التي قامت بها عاودية على عديد المدافن القفصية، استنتجت أن القفصيين كانوا يحتفظون ببعض العظام ثم يقومون بإلحاقها بالجثة الأصلية بعد سلسلة من المراحل، أو يمكن أن نسميها طقوس إعادة الدفن، حيث حددت ثلاث مراحل رئيسية هي:

- **المرحلة الأولى**: تعرف بمرحلة تحضير الجثة ووضعها الجزئي في القبر، حيث يتم تقطيع مفاصل العديد من العظام، ودفن الباقي في شكل كتل تشريحية مفككة.
- **المرحلة الثانية:** تلي مرحلة التحضير، وتمر هذه بجملة من الطقوس منها تنظيف العضو المفصول، وتجريده من اللحم، ثم إجراء بعض العمليات عليه من تزيين وزخرفة وتلوين، وبمجرد أن تكون جاهزة، تصبح جزءا من الحياة اليومية، من خلال استخدامها في المراسيم والاحتفالات، وتكون مرئية وقابلة للتعامل معها، ومن المحتمل أن تستمر هذه المرحلة عدة أشهر على الأقل.
- **المرحلة الثالثة:** في نهاية الطقس، وبعد مرور مدة معينة، يعاد فتح قبر المتوفى لوضع العظم المعدل فيه، والتخلي عنه نهائيا(Aoudia, 2013: 330).

3.3. استعمال العظام البشرية وتحويلها:

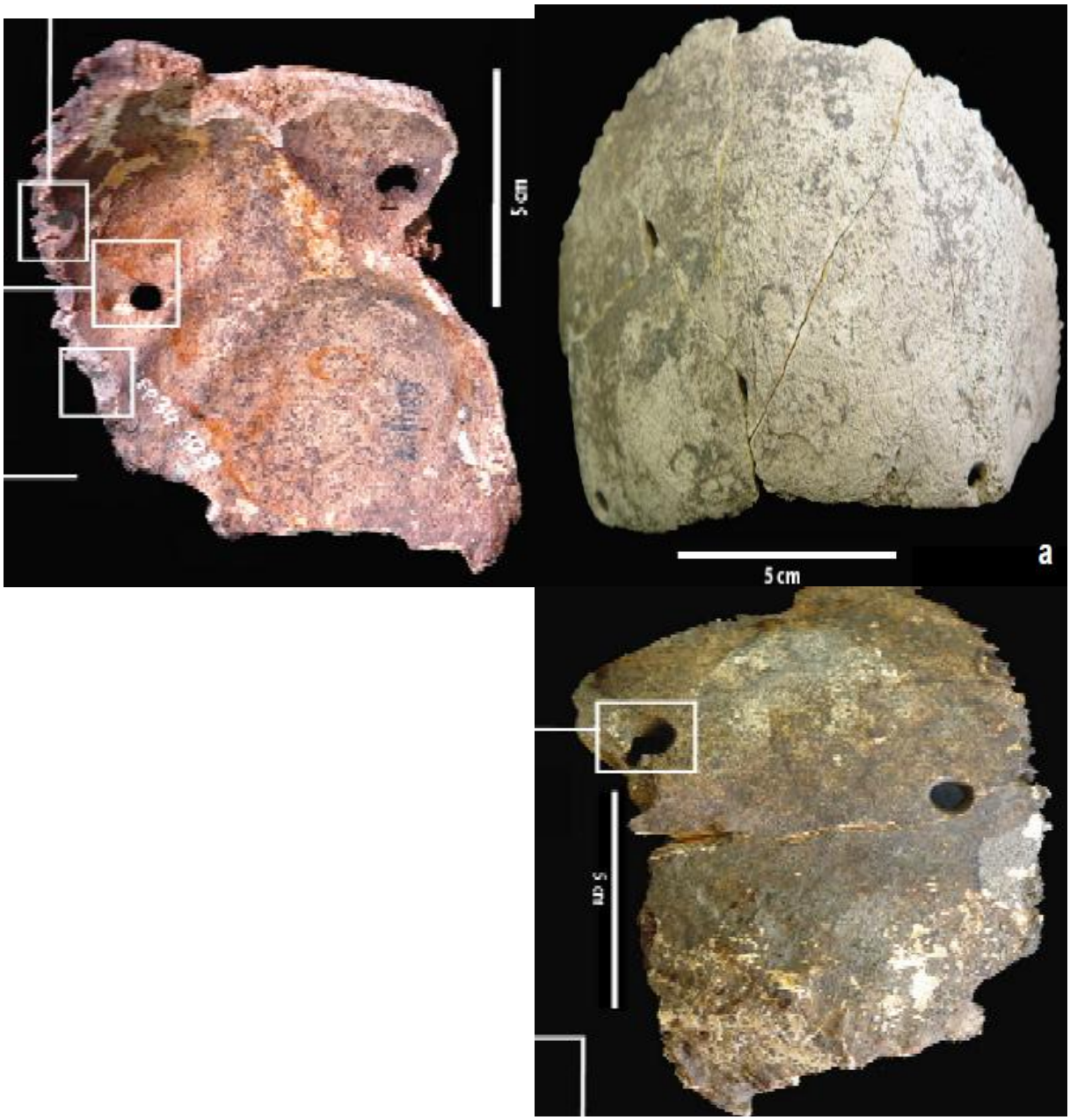
أثبتت المكتشفات الأثرية ظاهرة أخرى لم تنتشر بشكل كبير، لكن يحتمل أنها تدخل ضمن الطقوس القفصية، و تتمثل في تحويل العظام إلى أدوات وظيفية أو حلي، وفي حالات إلى أدوات ذات طابع رمزي أو طقوسي، وكانت الجمجمة أكثر الأعضاء تعرضا للتحويل، ففي موقع كولينماطة بتيارت عثر على قطعة من العظم الجداري للجمجمة تمت معالجتها وتحويلها إلى قلادة ذات شكل بيضوي، نظرا لأنها تحتوي على ثقب ربما للتعليق(Cadenat P., ALs, 1994:10)، وفي موقع مجاز II اكتشفت أيضا بقايا عظم قذالي لجمجمة مجزئة إلى ثلاث قطع متصلة فيما بينها، وتحمل عدة آثار قطع وحزوز (Aoudia-Chouakri L, Bocquentin F, 2009: 171-178; Camps-Fabrer H., 1966:182)، غير أن جمجمة موقع مشتى العربي تصنع الاستثناء، نظرا لأهميتها وطريقة معالجتها، فهي مكونة من قطعة مكونة

من جزأين من عظم جبهي لجمجمة، تحمل ثقبين في الجهة الأمامية عند الحافتين، ومصقولة ومهذبة بشكل جيد من الحواف(Aoudia-Chouakri, 2013: 280-283 ; Camps-Fabrer H., 1966: 180)،ونجد أيضا اكتشاف آخر مهم جدا في موقع فايد السيوارا،اعتبره الباحثون بمثابة قناع بعد عملية تحويل للجمجمة، بحيث تم تقطيعها من الجهة الخلفين من الأذن إلى الأذن، وإحداث ثقبين على الجانبين لتعليقها، وتلوينها بالمغرة الحمراء

(Camps-Fabrer H., 1966 :180-182 ; Camps-Fabrer, 1975, p. 327).

الصوررقم 9:

الجماجم المثقوبة التي أعيد استعمالها من موقع كوليمناطة ومشتى العربي



المرجع: (Aoudia, 2013; Aoudia L, F Bocquentin, 2009; Camps-Fabrer H., 1966)

الصورة رقم 10:

قناع فايد السيوار



المرجع: (Aoudia, 2013; Aoudia L, F Bocquentin, 2009; Camps-Fabrer H., 1966)

كما ثبت أيضا اكتشاف عدة أدوات ناتجة عن تحويل العظام البشرية على غرار الأطراف الطويلة سواء العلوية أو السفلية، ففي موقع مشتى العربي تم العثور على عظم طويل (شظية) تم استعماله كأداة، بعد اخضاعه لعملية التشذيب والصقل والتهذيب، ووظف كخنجر(Balout, 1955: 145)، وفي موقع كوليمناطة تم الكشف عن ثلاثة عظام طويلة خضعت لعملية معالجة وتحويل، ووجدت بجوار الهيكل الذي يحمل الرمز H8، وتتمثل هذه العظام في العضد والكعبرة والزند، وهي مأخوذة من الجهة اليمنى لنفس الهيكل العظمي(Aoudia-Chouakri, 2013 : 392-393 ; Camps-Fabrer H., 1966)، هذا فضلا عن اكتشاف عظم كعبرة من موقع عيون بريش، ويحتمل أنه استعمل كمطرقة لينة (Camps, 1974: 176).

ويدخل أيضا ضمن الأدوات المشكلة من العظام الحلقات الجمجمية، وهي مأخوذة من الجمجمة بعد أن يتم صقلها وتهذيبها، ثم ثقبها لتسهيل تعليقها في شكل تمائم، مثل تلك المكتشفة في موقع كوليمناطة، وقد صنعت من العظم الجداري للجمجمة، وهي حلق بيضوية الشكل، ذات حواف مهيأة بتقنية الصقل، وبها ثقب في محيطها(Cadenat P., ALs, 1994: 10).

فيما يخص الهدف من هذه الأدوات، فقد اختلفت آراء الباحثين ما بين الأبعاد الرمزية والوظيفية داخل المجتمع القفصي، فالقطع الجمجمية المثقوبة اعتبرت بمثابة قلائد يتم تعليقها لأغراض طقوسية، فقناع فايد السيوار اعتبرته فابرر كامبس بأنه يدخل ضمن محاولة إعادة تشكيل رأس الميت أو أحد الأسلاف بهذا القناع(Camps-Fabrer H., 1966:180-182). وهذه الأبعاد كانت محل دراسة من قبل كل من عاودية وبوكنتان، فقدما عدة احتمالات؛ إما أن تكون الأقنعة والجماجم بمثابة عناصر مقدسة تم تعليقها، تدخل ضمن عبادة السلف، أو إما أن تكون كراية انتصار على العدو، غير أن تكرار وجودها يدعم الرأي الأول، بحيث يتم معالجة هذه العظام فوق طقس جنائزي معقد، يشمل تقديس البقايا العظمية

والاحتفاء بها بين الأحياء (Aoudia-Chouakri L, BocquentinF, 2009:177)، أما الحلقات الجمجمية فهي تدخل ضمن التمائم السحرية التي تحمي الفرد من مختلف الشرور والأمراض(Broca, 1876:1-42)

4.3. استخدام المغرة الحمراء:

تعد هذه الصباغة الحمراء سمة بارزة في العادات والطقوس الجنائزية القفصية، إذ نادرا ما تغيب عن المدافن، حيث قدر فالوا نسبة الهياكل القفصية التي وجدت بها المغرة بحوالي
66,6%(Vallois, 1980: 139) ، وقد تم العثور عليها إما في محيط الدفن أو على الهيكل العظمي نفسه، ففي موقع بكارية وعين مستحية، كُشف عن وجود مغرة حمراء في محيط الهيكل العظمي نتيجة رش كامل للمتوفى بهذه المادة، ويحتمل أن تكون الجثة قد لُفَّت بكفن مشبع بالمغرة، بحيث أدى تحلل الكفن لاحقا إلى تلوين الركام المحيط بالجثة وشُبعت العظام بالصباغة في بعض المواضع، مثل حالة هيكل عين مترشم(Vallois H. , 1980: 139-140) ، أما في موقع عيون بريش، فقد تم الكشف عن طبقة من الركام تحتوي على مغرة حمراء دُفِن فوقها الهيكل العظمي الذي يحمل الرمز 3A-6، كما لوحظ نفس المحتوى على الهيكل "E6" في موقع مجاز II،وفي هذه الحالة، يرجح أنه تم إعداد فراش جنائزي لوضع الجثة مع رش الصباغة الحمراء عليه (Aoudia, 2013: 334).

تشمل الفئة الثالثة من حالات استعمال المغرة الحمراء تلك التي لوحظت فيها آثار مباشرة على العظام البشرية، وقد أشير إلى هذا النمط في موقع مجاز I بسطيف، حيث سُجّلت آثار الصباغة على مستوى الفقرات القطنية والحوض لأحد الهياكل، كما لوحظت على الفقرة الثانية من العمود الفقري في الهيكل 3A-7 بموقع عيون بريش، وفي هذه الحالات، تظهر آثار الصباغة الحمراء على مناطق محددة من الهيكل العظمي، وهو ما يدل على وجود شيء أو لباس مشبع بهذا اللون كان ملاصقا لتلك المواضع عند لحظة التلوين(Camps-Fabrer, 1975).

وعلى سبيل المثال، يمكن تفسير آثار الصباغة على الحوض والفقرات القطنية لهيكل مجاز I على أنها ناتجة عن تحلل لباس مصبوغ كان يحيط بخصر المتوفى (Merzoug, al, 2017)، وهو ما سبق أن لاحظه الباحثون أيضا على جمجمة الطفل E7 في موقع مجاز II، وعلى الفك السفلي في موقع عين بوشريط، وكذلك على جمجمة طفل في موقع مشتى العربي، وإضافة إلى ذلك، تم تلوين الكتلة القحفية الوجهيّة لهيكل فايد السيوارII بالكامل، بعد أن تم تعديل شكلها مسبقًا وتغطيتها بمعجون أبيض، ويمكن إدراج الفك السفلي المقطوع من موقع كوليمناطة بتيارت ضمن هذه الفئة أيضا، نظرا لكونه يحمل آثار صباغة حمراء. كما سُجّل وجود صباغة حمراء فوق رؤوس الهياكل 3A-1 و3A-2 بعيون بريش، وعلى هيكل "H1، H2، H4" في موقع مجاز II،وبالقرب من ذراع الهيكل E5 في الموقع نفسه، وخلف ظهر هيكل عين مترشم، إضافة إلى انتشار هذه الصباغة حول الهيكل العظمي للطفل E7 في موقع مجاز II. وفي موقع عين كيدة، فإن الجمجمة رقم 4، كانت مطلية بالمغرة الحمراء ومزودة بمخزون من هذه الصباغة
(Vallois, 1980: 136-140; Pittard, 1931: 451-455;Hermens, 1955: 129-160; Camps-Fabrer, 1975: 336-337;Aoudia, 2013: 334 ;).

إن تكرار استعمال المغرة الحمراء في غالبية المدافن القفصية يعكس وجود طقس محدّد ودقيق، يستجيب لحرص القفصيين على نقل مصدر الحياة إلى الميت في العالم الآخر، بفضل هذه المادة التي ترمز إلى لون الدم، فقوتها السحرية هي التي تمد المتوفى في اعتقادهم بالقوة والحيوية التي تشبه مفعول الدم وبهذا يمكننا التوغّل أكثر في معتقدات هؤلاء البشر، الذين يَظهر أنّهم كانوا يحملون انشغالات عميقة إزاء مسألة الموت(Camps-Fabrer, 1975: 337)، وبالتالي فهذه المادة الملونة لها وظيفة رمزية، حيث ترمز إلى الحياة واستمرارها في العالم الآخر، كما قد تكون لها وظيفة جمالية، ويحتمل أن لها وظيفة صحية لما تحمله من خصائص مطهرة ومعقمة(Gobert, 1950: 18-23).

4.القرابين الجنائزية:

إذا كانت القبور القفصية قد احتوت بشكل بارز على المغرة الحمراء، فإنها ضمت أيضا مجموعة من الأغراض والمرفقات الجنائزية التي كانت تدفن مع المتوفى، ففي موقع مجاز االرافق الهياكل العظمية عظام حيوانات، وأدوات مصنوعة من العظام أو من الصوان، وأصداف، ومخارز من العظم، ومن بين هذه الأغراض الزينة ما عثر عليه مع الهيكل H1، حيث وجد ناب خنزير بري مثقوب ومخرز أنبوبي وضعا تحت الرأس، أما في الهيكل H2 فتم الكشف عن عظم طويل لأرنب، وجزء من الفكّ السفلي لكلب وُضِعا خلف الرأس، ومخرز وعظم مصقول وضعا على الصدر، ومع الهيكل H3 دفن عظم لحيوان لاحم بالقرب من الرأس، وعظم طائر مع الهيكل H4 (Camps-Fabrer, 1975).

وفي نفس الموقع، عثر أيضا على عظام حيوانات ضمن قبور الهياكل العظمية التي تعود لأفراد حديثي الولادة، ففي الهيكل E2 وجد ناب خنزير مصحوبا بصدفة بحرية، ومع الهيكل E5 دفنتعظام أرنب، وعظام لمجترات من فصيلة الظباء، وللبقريّات بالقرب من الرأس. أما في الهيكل E6 تم الكشف عن عظام لحيوان عاشب وشظيّة ذات حافة مُهذَّبة مكسورة، موضوعة على الصدر(Camps-Fabrer, 1975: 317)، وبموقع مشتى العربي عثر دوبريج سنة 1912 على بقايا حيوانية رافقت البقايا البشريةَ، وفسر هذه البقايا الحيوانية بأنها مثلت دور القرابين الجنائزية(Debruge, Mercier, 1912)، وفي موقع هرقلة بالمدفن 1 تم وضع شظية من قصبة ساق بقرة كبيرة الحجم على اليد اليسرى وبين ساقي المتوفى (Munoz, et als, 2014: 321).

من جهة أخرى، تم اكتشاف قبور تحتوي على أدوات زينة في موقعي عين مترشم وبكارية 6، إذ احتوى الأخير على قبرين؛ يضم الأول أدوات زينة وزعت على مجموعتين خلف الجذع. احتوت المجموعة الأقرب إلى الظهر على كسر من بيض النعام المثقوب، وقشور منقوشة، إضافة إلى أصداف بحرية كاملة ومجزأة، ولوحة مثقوبة من الحجر الجيري، وثلاث خرزات من بيض النعام، أما المجموعة الثانية، فقد ضمت عشرة أصداف بحرية، لوحة من الصدف مثقوبة مرتين، وقطعة رقيقة وطويلة من الصدف، وثلاث حلي عظمية مثقوبة، وست خرزات حمراء طويلة، وما لا يقل عن 1635 كسر من بيضة النعام.

أما في موقع عين مترشم فقد عثر على823 كسر من بيض النعام موزعة في أماكن متعددة حول الهيكل العظمي، وقد استنتج الباحثون أن الفرد المدفون كان يرتدي غطاء رأس مخيط بهذه الخرزات، وقلادة أو لفافة حول الجسم

(Vallois, 1980: 137; Aoudia, 2013: 335; Aoudia, 2015: 6149-6152; Fabrer-Camps, 1960: 11-199).

أما المرفقات الحجرية التي وجدت مع الهياكل العظمية، فيمكن ذكر بعض الأمثلة البارزة منها، ففي موقع مشتى العربي، احتوى الهيكل (1927-II) على 122 شظية من الصيوان، وبنفس الموقع أيضا اكتشفت أداة طحن صغيرة تحمل آثار مغرة حمراء وسكين من الصيوان مدرجة مع الهيكل (1927-I)، ومع الهيكل العظمي (1927-IV) وجدت 11 قطعة حجرية و5 شظايا، إلى جانب نصلة من صيوان وجدت عند قدم الهيكل (3-3A) بموقع عيون بريش(Cole, 1928: 165-189; Debruge, 1923–1924: 131-133).

وبالنسبة لموقع هرقلة فقد احتوى حشو هذا القبر على موقد في شكل حفرة نصف دائري بعمق حوالي 30 سم، ويضم عدة مستويات، جميعها تضمنت رواسب سوداء محروقة ورمادًا، وحجارة متفحمة، والعديد من شظايا العظام في مراحل مختلفة من الاحتراق، يُحتمل أن يكون هذا العنصر البنيوي، المعاصر طبقيًا للمدفن، مرتبطًا به، ولم يُكشف عن حالات مماثلة لها في مواقع المغرب العربي خلال الفترات القفصية و النيوليتية (Munoz, et als, 2014: 325).

الخاتمة:

أظهرت الأبحاث الحديثة تنوّعا واسعا في أوضاع الدفن ضمن الحضارة القفصية، من منها؛ وضعية الاستلقاء، طيّ الجثة، الطي المفرط، وضعية القرفصاء، إضافة إلى الوضعية الجانبية، وقد كان توزيع هذه الوضعيات متقاربا عبر كامل المجال القفصي، رغم هيمنة وضعية طي الجثة. ويعزى ذلك إلى أن الهياكل العظمية الموضوعة في وضعية الاستلقاء اعتُبرت لفترة طويلة عناصر دخيلة على مواقع الرماديات، وبالتالي لم تُجمع في كثير من الأحيان؛ في حين تم التعامل مع الهياكل العظمية التي وُجدت في حالة تفكك جزئي أو كلي على نحو منفصل.

- استنادا إلى الأعمال والتنقيبات الأثرية التي أجريت في مواقع الرماديات نستنتج أنه لا توجد ممارسة جنائزية موحدة أو طقس ثابت يُطبق في جميع المدافن القفصية، إذ تختلف أوضاع الدفن من موقع إلى آخر، بل وحتى داخل الموقع نفسه، حيث كانت الجثث تطوى أو تحزم مستلقية على الظهر أو في وضعية جانبية، وتكون الأعضاء مطوية بشدة، كما كان يتم تعرية الجثة من اللحم، وأحيانا كانت العظام متناثرة عشوائيا فوق الجثة، مما يدل على أنه كان يتم دفن أكثر من شخص في القبر الواحد، وكان القفصيون يفككون عظام موتاهم فيضعون الأيادي على الصدر، كما أن وضعية الأطراف العلوية متغيرة جدًا؛ فتارة تُوضع إحدى اليدين تحت الوجه أو تُقرّب نحو الفم أو تُمدّان بمحاذاة الجسم. كذلك، فإن اتجاه الجثث عند الدفن يختلف هو الآخر بقدر اختلاف أوضاعها، فلا يوجد نمط موحد في التوجه أو الوضع.

-كانت وضعيات الدفن في الحضارة القفصية متنوعة، إذ نلاحظ أن وضعية الاستلقاء على الظهر أو على الجانب هي الأكثر اعتمادا، مع كون الأطراف الأربعة عمومًا في حالة طي خفيف، والهيكل الوحيد الذي وُجدت أطرافه العلوية في حالة انثناء هو الهيكلE3 بموقع مجاز II، حيث عُثر على يديه إلى جانبي الرأس، كما يُعدّ الهيكل H4 حالة لافتة للنظر؛ إذ يُحتمل أنه دُفن في كتلة تشريحية مفككة، ما لم يكن قد خضع لعملية تحنيط، وفيما يخص الطقوس المصاحبة للدفن فلم يثبت في هذا الموقع تعرض الجثث لعملية قطع المفاصل وتجريدها من اللحم، باستثناء ما ذكرته فابرر بالنسبة للهيكلين E6 وE7، حيث لاحظت آثار لعملية فصل الرأس وتنظيفه، مع تفكيك الفك السفلي، ومن المحتمل أن يكون العظم القذالي، إلى جانب الفك السفلي والعظم الصدغي قد خضعا أيضا لتنظيف متعمّد.

- معظم المدافن القفصية التي تمت دراستها من قبل الباحثين كانت فردية، إذ لم يُكشف عن أي مدفن جماعي، كما لم تُكتشف أي أدلة حاسمة على وجود مدافن ثنائية، باستثناء حالة الهيكل H1 من موقع مجازII، حيث دُفن على جانبي رأس هذا الفرد البالغ مولودان حديثان يختلفان في العمر، هذا وتشكل المدافن الأولية غالبية الحالات، كما نضيف نوعًا خاصًا من الدفن تم الإشارة إليه لأول مرة في الإطار القفصي، وهو الهيكل H4، وقد دفن في شكل كتلة تشريحية مفككة، مع احتمال خضوعه لعمية تحنيط.

-إلى جانب هذه الممارسات المتكررة التي تشكّل القاعدة الجنائزية العامة في الثقافة القفصية، يظهر نمط دفن خاص وأقل شيوعًا، أُطلق عليه تسمية الدفن في كتل تشريحية مفككة، ويُعدّ هذا النمط قاعدة جنائزية ثانوية، إذ لا يخص سوى عدد محدود من الأفراد، وهو طقس طويل ومعقّد يُرجَّح أنه كان يتم عبر مراحل متعددة، وربما تطلّب تدخّل أشخاص مختصين ومدرَّبين على هذا النوع من الممارسات، فوفاة الفرد كانت على الأرجح تستدعي سلسلة من الإجراءات المتخصصة والدقيقة، ويدخل في هذا الجانب أيضا ما نسميه بظاهرة استعمال العظام البشرية من الطقوس القفصية أيضا التي ثبت ممارستها سواء لأبعاد دينية مرتبطة بقيم رمزية وروحية، وكذا لأغراض نفعية من خلال تحويلها إلى أدوات تستخدم في الحياة اليومية.

- تعد المغرة الحمراء عنصرًا حاضرًا بشكل لافت وبأشكال متعددة، في القبور القفصية؛ إذ يُرجَّح رشّها على أرضية الدفن، أو لفّ الجثمان بجلد أو لباس مصبوغ، في حين تم إثبات حالات التلوين المباشر لبعض العظام، أو وضع كمية من المادة الحمراء بالقرب من الجثمان، أما وجود الحُلي في القبور القفصية غير معروفة بشكل دقيق، غير أنّ الحفريات الحديثة أظهرت أنّ وضع صدفة بحرية، أو خرزة أنبوبية، أو أداة، على الجثمان أو بجواره، كان ممارسة شائعة في هذه الثقافة، كما يُحتمل بدرجة كبيرة أنّ بعض الأفراد القلائل كانوا يتزيّنون بقلائد أو بملابس مخيطة بمئات الحلقات المصنوعة من قشور بيض النعام، مع ملاحظة إرفاق الجثة بمجموعة من القرابين سواء كانت حيوانية أو حجرية.

البيبليوغرافية:

دراسات (كتب و مقالات):

1. Aoudia-Chouakri L, F Bocquentin. (2009). Le crâne modifié et surmodelé de Faïd Souar II (Capsien, Algérie) . Masque, trophée ou rite funéraire? *Cahier des thèmes transversaux ArScAn Cahier*, pp. 171-178.
2. Aoudia-Chouakri. (2013). *Pratiques funéraires complexes : réévaluation archéo-anthropologique des contextes ibéromaurusiens et capsiens. Paléolithique supérieur et épipaléolithique, Afrique du Nord-Ouest.* Bordeaux: Thèse de doctorat inédite, Université de Bordeaux 1.
3. Aoudia-Chouakri, L. (2015). Parure funéraire préhistorique en Afrique du Nord. *Encyclopédie berbère, 37*, pp. 6149-6152.
4. Balout, L. (1955). *Les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara, Inventaire descriptif et critique (Paléolithique-Epipaléolithique-Néolithique).* Algérie: Imp officiel Gouvernement général de l'Algérie.
5. Belhouchet L. (2021). Du Capsien chasseur au capsien pasteur, pour un modèle régional de Néolithisation. *Archaeopress Archaelogy*.
6. Broca, M.-P. (1876). Sur la trépanation du crâne et des amulettes crâniennes à l'époque néolithique. *Revue D'anthropologie, T VI,* pp. 1-42. https://archive.org/details/BIUSante_90190x1877x01/page/n41/mode/2up
7. Cadenat P., ALs. (1994). Columnata. *Encyclopédie berbère, 13*, pp. 2052-2065.
8. Camps, G. (1974). *Les Civilisations Anciennes dès L'Afrique du Nord et du Sahara.* Paris: Edition Doin.
9. Camps-Fabrer H. (1966). Matière et art mobilier dans la préhistoire Nord-africaine et saharienne. *Mémoire du C.R.A.P.E N° 5*.
10. Camps-Fabrer, H. (1975). *Un gisement Capsien de faciès Sétifien. Medjez Il, El-Eulma (Algérie).* Paris: CNRS.
11. Cole, F. (1928). In Pond A.W. -A contribution to the study of prehitoric Man in Algeria, North Africa. *Logan Museum Bulletin Vol. I(II),* pp. 165-189.
12. Debruge A.. (1910). Le préhistorique dans les environs de Tébessa. *Rec Not Mém Soc Archéol de Constantine XLIV:*, pp. 65-67.
13. Debruge, A, Mercier, G. (1912). L'escargotière de Mechta-el-Arbi, près de –Châteaudun-du-Rhumel. *Association Française Pour L'avancement des Sciences*, pp. 417-426.
14. Debruge, A. (1914). Nouvelles fouilles à Mechta el Arbi, près de Châteaudun-du- Rhumel (Constantine) (novembre 1912). *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, pp. 216 - 220.
15. Debruge A. (1923 – 1924). L'escargotière de Mechta el Arbi. Reprise des fouilles en 1923,. *Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine*, pp. 117-144.
16. Debruge, A. (1927). Mission préhistorique du musée Logan dans l'Afrique du nord. *Bulletin de la Société Préhistorique Française*, pp. 402-404.
17. Gobert, E. (1910). Note préliminaire sur l'évoluton du Capsien. *Bull de la Soc Préhit Franç*.
18. Gobert, E. (1914). Introduction à la Palethnologie tunisienne. *Cah Archéol tunisienne 2e Cah*, pp. 125-172.
19. Gobert, E. (1950). Sur un rite capsien du rouge. *Bulletin de la Société Des Sciences Naturelles De Tunisie, 3*, pp. 18-23.
20. Gobert, E., & Vaufrey, R. (1950). (R.), Le Capsien de l'abri 402. *Notes et Documents XI*.
21. Hadjouis, D. (2003). *Algérie, 2 millions d'années d'histoire, Aux origines d'Homo Sapiens.* Paris: catalogue de l'exposition une année de l'Algérie en France.
22. Harbi-Riahi M. ; Zoughlami J. (1971). La Rammadya de Sebkhat Halk el-Menzel. *Africa 3-4*, pp. 181-184.
23. Haverkort C.M, Lubell M. (1999). Cutmarks on Capsiand Human Remains: Implications for MaghrebHolocene Social Organisation and Paleoeconomy. *international Journal of Osteoarchaeology*, 147-169.
24. Hermens, B. d. (1955). L'abri préhistorique de l'Ain Kéda. Commune de Tiaret, dépertement d'Oran. *Libyca T.55*, pp. 129-160.
25. Joleaud, L. (1937). Remarques paléoethnographiques sur l'homme de mechta el Arbi (Constantine). *Revue Africaine*, pp 1-12.

26. Laplace, G. (2004). Les Sépultures de Faïd Souar II : carnets de fouilles. *Paléo*, pp. 23-36.
27. Merzoug, al. (2017). L'escargotière de Medjez I (El Eulma, Algérie): Résultats préliminaires d'une opération archéologique pluridisciplinaire. *Proceedings of the II Meeting* (pp. 379-412). Burgos (Spain): Centro Nacional de Investigación sobre la Evolución Humana,.
28. Morgan, J. D. (1909). *Les premières civilisations : études sur la Préhistoire et l'Histoire jusqu' à la fin de l'Empire macédonien.* Paris.
29. Munoz O, Mulazzani S, et als. (2014). Pratiques funéraireset données biologiques pendant l'Holocèneen Tunisie. Le cas de SHM-1 (Hergla,Tunisi eorientale). *Bulletin de la société préhistorique française*, pp. 315-332.
30. Naanaa, S. (2012). *Etude paléoanthropologique (morphologie et variabilité architecturale) des cranes protoméditerranéens de l'Algérie orientale.* Guelma: Ecole doctorale, univ. 8 mai 1945.
31. Pittard, E. (1931). A propos de la coloration rouge des squelettes préhistoriques. *15e congrès international d'anthropologie et d'archéologie préhistoriques, 4e session de l'institut international d'anthropologie.* (pp. 451-455). Portugal: Librairie E. Nourry,.
32. Pond A.W., et al. (1938). Prehistoric habitation sites in the Sahara and North-Africa. *Logan Museum Bulletin*.
33. Rahmani, N. (2004). Nouvelle interprétation de la chronologie capsienne (Épipaléolithique du Maghreb). *Bulletin de la Société préhistoire Française*.
34. Reygasse, M. (1917-1918). L'Escargotière de Chéria. *Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine*.
35. Vallois, H. (1980). La sépulture et la parure de l'Homme capsien d'Aïn Méterchem (Tunisie). *Bull Soc Préhist Fran 77 (5)*, pp. 136-140.
36. Vaufrey, R. (1935). L'Age des hommes fossiles de Mecheta et Arbi,. *Bulletin de la Société Historique et Géographique de la Région de Sétif*, pp. 1-18.
37. Verguet, M. (1955). Notes sur quelques stations préhistoriques et traces d'industries lithiques relepées dans la région de Saint-Arnaud Eulma {département de Constantine). *Libyca, Anthrop. Archéol. Préhis. T.3*, pp. 57-80.